



صورة الشهيد د. محمد سلمان حسن في أيامه الأخيرة

شيء لا نكفي الشهيد

د. محمد سلمان حسن

«اجتمع مجلس الأمن القومي [الأمريكي] يوم الجمعة، ٣ آب/ أغسطس [١٩٩٠، في اليوم التالي لإحتلال الكويت] مرة أخرى، في البيت الأبيض...

وناقش المجتمعون تقريراً أعدته وكالة المخابرات المركزية (السي أي أي) أشارت فيه إلى أن الغزو [العراقي للكويت] يشكك تهديداً للنظام الدولي القائم، وأن الآثار البعيدة المترتبة عليه بالنسبة للإقتصاد العالمي قد تكون بالغة الخطورة. إذ أن صدام عقد العزم على تحويل العراق إلى قوة عربية كبرى - مقابلة للولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي واليابان. فالسيطرة على ٢٠ في المئة من نفط العالم ستتيح له أكثر مما هو ضروري لتحقيق ذلك. وكان هناك تقديرات مخيفة لقدرات العراق. إذ أن (السي أي أي) اعتقدت بأنه كان بمقدور صدام تحريك قواته المرابطة في الكويت جنوباً، ليكون في الرياض، عاصمة السعودية، خلال فترة لا تتجاوز ثلاثة أيام.

قال سكوكروفت [مستشار الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي] لا بد من السير على طريقين في وقت واحد. الأول، في اعتقاده هو استمداد الولايات المتحدة لإستخدام القوة لمنع ذلك، والإفصاح عن هذا للعالم كله. وقال إن الطريق الثاني هو الإطاحة بصدام. وإن هذا يمكن أن يتحقق بعمل خفي تنفذه (السي أي أي)، ويجب أن لا يعلن للعالم. فأصدر بوش أوامره إلى (السي أي أي) للشروع بتنظيم عملية سرية لإضعاف النظام، للإطاحة بصدام، كما كان يأمل. وكان يريد جهداً شاملاً على جميع الأصعدة لخلق الإقتصاد العراقي، وتقديم العون إلى جماعات المقاومة المناوئة لصدام داخل العراق وخارجه، والبحث عن قادة بديلين في المؤسسة العسكرية أو في أي زاوية من زوايا المجتمع العراقي».

(عن كتاب «القادة» للصحفي الأمريكي بوب وودارد، ص ٢٣٧).

شي ذكرى شهيد الفكر والوطن:

د. محمد سلمان حسن

في ١٧ كانون الثاني ١٩٨٩ توفي العالم والشخصية العراقية الديمقراطية المستقلة، الدكتور محمد سلمان حسن، في ظروف فاجعة أضفت على الوفاة سمة اغتيال مدبر ووحشي لا يصدر إلا عن سلطة فاشية ضالعة في الإجرام، مجردة عن أي اعتبارات إنسانية.

وقد جاء رحيل الفقيه في وقت احتجاب مجلنتنا (الغد)، فلم يتيسر لها أنشد، أداء الواجب في تأبين الفقيه الشهيد بما يليق بذكراه ومكانته في الحركة الفكرية والديموقراطية في العراق والبلاد العربية. وهي تأسف أسفاً شديداً وتمتدح عن هذا التقصير الكبير فإن تأخرها في قضاء اللازم لا يعفوها من إكرام ذكرى الفقيه وتجديد العهد له بالمضي في طريق الدفاع عن حقوق الشعب وقضايا التحرر والديموقراطية والعدالة مهما كلف الضمن. وإذا كان من البديهي القول بأن مرور الوقت يدمل الجروح ويخفف الآلام ويطفئ جذوة الأسى؛ فإن مصائب شعبنا تزداد قسوة وشمولاً، بما يعمق من شعورنا بالחסارة والأسى لفقدان مفكر حر جسور في هذه الفترة الحرجة من تاريخنا. فما أحوج العراق والبلاد العربية اليوم لقائد

فكري مثله ومناضل عتيد لم يتقاسم في مقارعة الطغاة، ولا تردد في تقديم الثمن.

كان الشهيد في طليعة المثقفين العراقيين الديموقراطيين الذين وهبوا حياتهم للدفاع عن قضية الفكر الحر وحرية الإنسان واستقلال الوطن. وكان من الذين يمتازون بأصولهم الشعبية الكادحة، فلم تغريه المناصب العليا ولا الشهرة الواسعة عن قضية الشعب العادلة وعن العمل من أجل يعيش الشعب الذي أحجبه حياة جديرة بالإنسان وبمواكبة ما هو جيد وتقديمي في العالم الحديث. فكان يحرص أشد الحرص على الإستقامة والنزاهة الفكرية والشخصية والتزام المنهج العلمي.

وعمل منذ أول أيامه في الدراسة الجامعية في بناء الحركة الطلابية العراقية في بريطانيا وأوروبا، كرس حياته الجامعية لدراسة المجتمع العراقي وكتب أعمق دراسة عن تكوين هذا المجتمع في العصر الحديث. فكان يقول أن المؤرخين التقليديين حاولوا إسدال الستار على حقيقة التطور الإقتصادي والسياسي العراقي الحديث. فمنهم من أراد طمس النهضة الإقتصادية والحضارية الحديثة التي شهدتها العراق في القرنين الماضيين جرياً وراء التقاليد العثمانية التي تريد إرجاع كل تقدم في العراق الى جهود مدحت باشا ومن لحقه من ولاة العثمانيين.

ومنهم (ولا سيما الكتاب البريطانيين والمتأثرين بمدربتهم) من استهدف إنكار وجود هذه النهضة وتصوير العراق قبل الإحتلال البريطاني بصحراء قاحلة لم تر الحياة إلا في ظل السيطرة البريطانية والهيمنة الرأسمالية الغربية. فكان رسالة الدكتوراه التي نشرها موسعة فيما بعد، جزءاً من كفاحه الفكري لإستنهاض الأجيال الجديدة للدراسة العلمية والتوجه لتقدم الوطن.

وبسبب من روحه العالية وفكره الأصيل عانى من ضغوط الحاكمين أياً كانوا، وجفاء حاميتهم من شتى الإنتماءات الفكرية والسياسية. لكنه ظل دائماً موضع حب الجمهور العراقي وتقدير كل من تعلق بقضية الحرية والفكر الأصيل.

وقضى الشهيد عمره في خدمة الأهداف النبيلة العليا التي وهب نفسه لها وسار على طريق من سبقه من العلماء الأحرار الذين أضاءوا بالصفحات المشرقة لحياتهم وجهادهم الفكري عصوراً سحيقة من الظلام والوحشية والإستبداد.

واليوم إذ تصبح قضايا الحرية والإستقلال والسيادة الوطنية موضع متاجرة دولية رابحة، وعندما تغدو الكرامة والضمير بضائع كاسدة في الأسواق الدبلوماسية العالمية، فإن فكر الفقيه يزداد أهمية، ونضاله يرتفع تقديراً في أنظار الشعب العراقي وكل المتعاطفين للحرية وكرامة الإنسان. فمجيداً وخلوداً لإبي عمّار شهيداً وأباً لشهيد وصاحب فكر لا ينطفى، وذكرى لا تموت.

الغد

حياته ونضاله في سطور

الدراسة والحركة الطلابية

ولد ببغداد، محلة حمام المالح عام ١٩٢٨، من أسرة فقيرة معدمة. أكمل الدراسة الثانوية العراقية ١٩٤٨، وأظهر حساً فلسفياً إنسانياً تَوَاقفاً إلى الحرية منذ حداثة سنه، كما يظهر من مناجاة روحية كتبها قبل مفادته الوطن للدراسة في بريطانيا.

البعثة العلمية إلى إنكلترا ١٩٤٩.

بكلوريوس إقتصاد بدرجة (شرف) وحاز على Gladstone Memorial، جامعة ليفربول، تموز ١٩٥٢.

ماجستير الإقتصاد الدولي، جامعة لندن (تموز ١٩٥٥).

دكتوراه في الإقتصاد السياسي، جامعة أوكسفورد (شباط ١٩٥٨).

عمل عضواً مؤسساً في جمعية الطلبة العراقيين ١٩٥١.

انتُخب عضواً في اللجنة التنفيذية ١٩٥٢.

فُصل من البعثة العلمية لأسباب سياسية، ١٩٥٤.

سُحب جواز سفره لأسباب سياسية ١٩٥٥.

المراكز التي تولاها

عاد إلى الوطن عام ١٩٥٨، وعيّن مستخدماً بأجور يومية في مجلس ووزارة الإعمار في ١٩٥٨/٥/٢١.

عيّن سكرتيراً لمجلس الإعمار بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في ١٩٥٨/٧/٢٦، إذ تولى الإشراف على الوزارة الهامة منذ فجر يوم الثورة، وحتى ١٩٥٩/٩/٥.

أعيرت خدماته إلى وزارة الإصلاح الزراعي (مديرية التخطيط العامة) حتى ١٩٦٠/٤/٢.

أعيد إلى التخطيط سكرتيراً في وزارة التخطيط، وكيلاً للمديرية العامة للمعمل والأجور حتى ١٩٦٣/٢/٨، حين أعتقل وتمرّض للتعذيب وفقد السمع في إحدى أذنيه نتيجة ذلك، وفُصل من الخدمة لمدة خمس سنوات لأسباب سياسية.

عيّن خبيراً (درجة أولى) - مدرساً في التخطيط الصناعي لدى الأمم المتحدة منتدباً للتدريس في معهد الكويت للتخطيط الإقتصادي والإجتماعي في الشرق الأوسط في ١٩٦٨/١/٢٨ حتى ١٩٦٩/١/٢٧، إنتدب خلالها لمدة ثلاثة أشهر لوضع خطة صناعية لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

استُدعي من قبل أحمد حسن البكر لتولي وزارة النفط عند تشكيل الوزارة بعد إنقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، ولكنه رفض المشاركة في الحكومة الجديدة مطالباً بإطلاق سراح السجناء السياسيين.

عيّن مدرساً في كلية الإقتصاد والعلوم السياسية بجامعة بغداد في ١٩٦٩/٤/٨.